

٥ - القرآن الكريم

في كتاب النثر الفني

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

ويلحق بزعمه الذي زعم لعرب الجاهلية من نهضة علمية سياسية اجتماعية الخ زعمه أن نشأة علوم العربية كالنحو والبلاغة والعروض قديمة ، أي إنها نشأت قبل الإسلام لا بعده^(١) وهو يبنى هذا الزعم أيضاً على ما افترض من أن القرآن أثر جاهلي وفي الحق أن جميع ما ارتأى وما افترض في كتابه هذا متصلاً بالقرآن لا يتسق ولا يستقيم في بحث باحث إلا على فرض

(١) الجزء الأول صفحة ٤٧

في استعمال (الماريض) بقوله في شأنها : « الصدق ههنا يتحول إلى النية فلا يراعى فيه إلا صدق النية وإرادة الخير ؛ فهما صرح قصده وصدق نيته وتجردت للخير إرادته ، صار صادقاً كيداً كان لفظه »

هذا ولم يتفرد متصوفة المسلمين بالإغراب والتمعية في أقوالهم - تقية منهم ومداراة للعامة وظلمة الحكام - وإنما شاركهم في ذلك أهل التصوف من سائر الملل . وسبق هؤلاء جميعاً أهل التفلسف من قدماء الأمم . وقد صرت عبارة قدماء في رموز أفلاطون ، والفلفطي في كتابه : « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » يقول عن أفلاطون هذا إنه ألف كتباً كثيرة مشهورة في فنون الحكمة وذهب فيها إلى الرمز والإغلاق

وكان هيرقليس اليوناني يسمى (الفيلسوف المغمى) لأنه كان لا يتكلم إلا بالألغاز . وينسب مثل هذا إلى أبيه زقليس . قال الفلفطي : ومن الفرقة الباطنية من يقول برأيه ، وينتسب في ذلك إلى مذهبه - يعني مذهب الشك في الماد - ويزعمون أن له رموزاً قلما يوقف عليها^(١) وهي في غالب الظن إيهامات منهم .

(جربا - يتبع)

محمد عزت هرف

(١) أقول : لعل أبا الملاء كان يشير إلى أمثال هؤلاء بقوله : لند كذب الذين ظنوا بقولنا : آتى من ربنا أمر يرمز

أن القرآن من كلام عربي من العرب . وهو لم يصرح بهذا كما صرح بإنكار إعجاز القرآن من ناحية الأسلوب ، إلا أن وصفه القرآن بكل ما لا يصدق إلا على نتاج البيضة دليل قاطع في الموضوع اقرأ له زيادة على ما قدمنا قوله عن القرآن من صفحة ٤٥ « فلننظر إذن أهو كتاب طبيبي ، أم هو كتاب مملوء بالزخرف والصنعة المحكمة » وقوله « فن الواجب أن يترك الباحثون ذلك الميدان الذي أولعوا بالجرى فيه وهو عصر الدولة العباسية ، وأن يجعلوا ميدان النضال عصر النبوة نفسه ، وأن يحدثونا ما هي الصلات الأدبية والاجتماعية التي وصلت إلى العرب من الخارج فأعطت نثرهم تلك القوة وذلك الزخرف اللذين تراهما مجسمين في القرآن . هنالك نعرف بالبحث أكان القرآن صورة عبقرية أم تقليدية » . فهذا نص لا يقبل شكاً ولا يحتمل تأويلًا في أن صاحب الكتاب يرى القرآن من كلام العرب تأثر بما تأثروا أو يصح أن يكونوا تأثروا به من صلات أدبية اجتماعية جاءتهم من الخارج ، وأن ما امتلأ به في زعمه من « الزخرف والصنعة المحكمة » ليس طبيعياً كالذي تراه في الزهر والشجر والشفق والسماء ، ولكنه مكتسب مجلوب من الخارج ونسى أنه لم يقل بأن القرآن أثر جاهلي إلا لينفي عن العرب أن يكونوا « أخذوا طرائق النثر الفني عن الفرس واليونان » ، فهو يسلبهم كل ما أعطاهم ، بل يشكك حتى في عبقرية القرآن لو كان من صنع عربي ووضع ، كما ترى من قوله « هنالك نعرف بالبحث أكان القرآن صورة عبقرية أم تقليدية » . والتقليد هنا ليس هو تقليد عربي لعربي ، ولكن تقليد عربي لأعجمي ، لأن الصلات الخارجية التي يتساءل عنها في النص السابق هي صلات بين العرب ومن حولهم من الأعاجم . فتشكيكك في العبقرية وتجويزه التقليد على القرآن قاطع في أنه لا يرى القرآن من كلام واهب العبقرية وفاطر الإنسان ، ولكن من كلام بشر مشكوك حتى في عبقريته

وصاحب الكتاب يعرف هذا الرأي من نفسه ، ويعرف

بعد ما بينه وبين ما عليه المسلمون ، كما ترى من قوله بعد ذلك النقص » ولكن مثل هذا البحث في رأي خطر على الباحثين المسلمين في الوقت الحاضر : لأن الرأي العام في مصر والشرق الإسلامي لا يسمح بدرس القرآن درساً تحليلياً يبين ما فيه من العناصر العربية الصميمة والعناصر الدخيلة . والمستشرقون أيضاً لا يهتمون بمثل هذا البحث ، لأن أكثرهم مقتنع بأن العرب لم يكن لهم وجود أدبي قبل الإسلام . فإذا صح ما نقله هذا الرجل عن المستشرقين فالمستشرقون أقرب منه إلى الإسلام إذ ليس بينهم وبين الإسلام إلا أن يكونوا منطقيين مع أنفسهم ، ويتبموا النتيجة الحتمية لوجود القرآن مع ما اقتنعوا به من أن العرب لم يكن لهم وجود أدبي قبل الإسلام . أما هو فقد رأيت ما قال وليس ذلك كل ما قال ، فقد قال أيضاً في صفحة ٤٦ « وليس أمامنا أي دليل على أن القرآن متأثر متأثراً محسوساً بأدب أخرى أجنبية وإن كان هذا ممكناً لأن العرب قبل الإسلام كانوا على اتصال قليل أو كثير بمن جاورهم »

وقال أيضاً من صفحة ٤٧ « ويمكن الحكم بأن اللغة الأدبية التي سبقت الإسلام لم تكن تخالف كثيراً لغة القرآن ، لأن التطور الكبير الذي ينقل اللغة من أسلوب إلى أسلوب ومن روح إلى روح لا يتم في خمسين سنة مثلاً ، وإنما يتطلب مدة طويلة ، خصوصاً في أمة بدوية محافظة قليلة الاختراع والتبديل في لغتها وأسلوبها » . اقرأ هذا واحكم ما رأى صاحبه في القرآن ، أأزله الخالق منجزة للخلق على الدهر ، أم هو من كلام الناس تطور روحه وأسلوبه كما يتطور الروح والأسلوب في كلام البشر ؟

ثم اقرأ له من صفحة ٥١ : « وإنما ينبغي أن نعتقد أنه كان لهم أدب قوى متين يقرب في روحه وأسلوبه من روح القرآن وأسلوبه ، فإن البيئة واحدة ، واللغة واحدة ، والمصر واحد » فإذا قرأت له عقب ذلك « ولم يكن عمداً إلا بشرأ ألهم هداية قومه كما صرح القرآن غير مرة » عرفت أن صاحب الكتاب

يرى القرآن من كلام محمد ، وعرفت أيضاً أنه يفترى على القرآن فإن القرآن وإن قال إن محمداً بشر لم يقل إنه ألهم هداية قومه ، فإن ماله « ألهم » لم ترد قط في القرآن

فإذا قرأت له من صفحة ٦٠ « فإن القرآن يسجع أحياناً ولكنه لا يلتزم السجع ، لذلك نجما من التكلف والابتذال » عجبت لهذا الكاتب المدعي البصر بالفصاحة والبيان ، كيف لم يجد ما يقوله في سجع القرآن إلا أنه نجما من التكلف والابتذال ! وهو ثناء يشبه الذم لو أنه قيل في سجع أحد الفصحاء مثل ابن العميد الذي يستحسن صاحب الكتاب سجعاً له كل الاستحسان (صفحة ١٥٢) ، فكيف به وقد قيل في القرآن ولعلك لاحظت أنه حين (نجي) القرآن من التكلف والابتذال في السجع رد ذلك إلى أنه يسجع أحياناً ، أي إلى قلة السجع لا إلى السجع نفسه . فإذا قرأت له قوله من صفحة ٦٥ « ولو تركنا المشكوك فيه من الآثار الجاهلية ، وعدنا إلى نص جاهلي لا ريب فيه وهو القرآن ، رأينا السجع إحدى سماته الأساسية » لعجت لهذا الرجل كيف يكتب . ألم يقل قبل إن القرآن يسجع أحياناً ؟ فكيف يجعل السجع الآن إحدى سماته الأساسية ؟

ومثل آخر من إزاله القرآن منزلة كلام البشر قوله من نفس الصفحة « والقرآن نثر جاهلي ، كما أوضحنا ذلك من قبل ! » (والتعجب من عندنا لأنه لم يوضح بأكثر مما قدمنا لك) والسجع فيه يجري على طريقة جاهلية حين يخاطب القلب والوجدان . ولا ينكر متعنت أن القرآن وضع للصالحات والدعوات ومواقف الفناء والخوف والرجاء سوراً مسجوعة تماثل ما كان يرتله المتدينون من النصراني واليهود والوثنيين ولا تنس أن الوثنية كانت ديناً يؤمن به أهله في طاعة وخشوع ، وكانت لهم طقوس في هياكلهم . وكانت تلك الطقوس تؤدي على نحو قريب مما يفعل أهل الكتاب من النصراني واليهود » أفترى هذا الكلام يحتاج إلى تعليق ؟ أم هل تريد كلاماً أوضح وأدل على رأي هذا الأقااك ؟ إذن فاقرأ له ما قال بميد

تكون للديانات الثلاث من وضع العرب ؛ وإلا أن يكون القرآن من أدب العرب كذلك

وبعد ، فقد كنت أسندت إلى زكي مبارك تهماً ثلاثاً : أنه يدعو إلى نقد القرآن ، وأنه ينكر إعجاز القرآن وأنه يكاد يصرح بأن القرآن من كلام البشر ، وطلبت إليه أن يتبرأ أو أثبت ، فأجاب إنى لا أفهم كتابه ، وأنه لا يتبرأ منه ولو ذهب معه إلى جهنم الحامية ، فكان لا بد من الإثبات . وقد فعلت ، وإن لم أستقص ما فى كتابه وما كتب بعده من دليل . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

محمد أحمد الفهرادى

ذلك : « والقرآن وضع لأهله صلوات وترنيمات تقرب في صيغتها الفنية مما كان لأهل الكتاب من صلوات وترنيمات ، والفرق بين اللتين يرجع إلى المعانى ويكاد ينعدم فيما يتعلق بالصورة والأشكال . ذلك بأن الديانات الثلاث الإسلام والنصرانية واليهودية ترجع إلى مهد واحد هو الجزيرة العربية . فاللون الدينى واحد ، وسورة الأداء تكاد تكون واحدة » ! فقد رأيت الآن ! لقد صارحك صاحب النثر الفنى بذات نفسه ، لا عن القرآن فقط وتقليده حتى الوثنيين في الصورة والشكل ، ولكن عن الأديان الثلاثة كيف أنها كلها بنت البيئة ، بنت الجزيرة العربية ، ولك أنت أن تملل لماذا أغفل الوثنية فلم يجعلها رابعة البنات !

الرجل بقوله هذا قد وضع بين أيدي الناس المفتاح إلى مذهبه في القرآن والدين ، وليس النص السابق فلتة فانت الرجل ، فقد ذكر رأيه في الدين وفي القرآن فيما كتب بعد النثر الفنى بما يتفق مع هذا الذى كتب فى « النثر الفنى » وأين ؟ سأخبرك ببعض ذلك ، وفى البعض بلاغ

كان الأستاذ أحمد أمين علل فقدان الملاحم والمنظومات الطويلة في الشعر العربى بتقيد الشعراء بمد العصر الجاهلى بقيود الشعر الجاهلى ، فرد الدكتور زكى مبارك عليه يقول فى صفحة ١٣٩٣ من العدد ٣١٥ من الرسالة « إن عبقرية العرب ليست فى القصص وإنما عبقرية العرب فى الفناء والتعبير عن الأنفاس الروحية . وفى بلاد العرب نشأت الديانة الموسوية والديانة الميسوية والديانة الحمديّة ؛ فإن امتازت لغات الشرق والغرب بالمنظومات الطويلة فى القصص والتاريخ ، فقد امتازت لغة العرب بأكرم أثر عرفه الوجود وهو القرآن . وهو حجة اللغة العربية يوم يقوم التفاخر بين اللغات بالأحساب » والأستاذ أحمد أمين كان يتكلم عن أدب العرب مقارناً إليه بأدب فيرم من الأمم والشعوب ؛ فهذا الرد من زكى مبارك لا يصلح رداً إلا أن

الأستاذ أبو خلدون ساطع الحصرى

يقدم

إلى المربين والعلمين والوالدين والفكرين كتابه الجديد

آراء وأحاديث
في
التربية والتعليم

وهو خلاصة مطالعات ، ونتيجة مشاهدات ، وزبدة تجارب ، فى ترتيب منطوق وأسلوب سهل وسورة مشوقة . والقسم الثالث منه خاص بنظام التعليم فى مصر وقده وبحث مشكلة التعليم الإلزامى فيه

بياع فى إدارة مجلّة الرسالة وفى سائر المطابع الشهيرة
ونحنه ثلاثون قرشاً عدا أجرة البريد